الإسلام فى موكب الإصلاح

توحيد الزى

للأستاذ محمد عبد الله السمان

حين وثب الجيش المصرى الباسل وثبته المباركة ، رجونا الله عز وجل أن يهب للشعب فقها فى عقليته ، حتى يهضم معانيها ويساير خطواتها ، فتؤتى أكلها ، وتقدم للوطن من ثمراتها الطيبات ما ينهض به ، ويعلى كلمته ، ويرفع قدره

ولقد أتاحت وثبة الجيش المباركة فرصة طيبة للاصلاح حتى يقوم على أسس ثابتة ؛ ومهدت للنهضة حتى ترتكز على أصول مستقرة ، وكان يحدوها الأمل فى أن تجد الفقهاء من المصلحين حتى يضعوا أسس الإصلاح ، والفقهاء من المشرعين حتى يضعوا أصول النهضة ؛ ولكن يظهر أن الفقهاء من المصلحين يضنون بفقههم على مصر ، والفقهاء من المشرعين يدخرون فقههم لبلاد غير مصر ؛ أو أن الفقهاء من المصلحين والمشرعين لم يزل اليأس الذى أورثهم إياه العهد البائد يجثم على صدورهم ، فآثروا الدعة على النشاط ، والانزواء على النهوض ، وتركوا الميدان خاليا إلا من شراذم تتصنع الثرثرة فى توافه المسائل ، والجلبة فى سفساف الأمور ، والرغاء فى كل ما من شأنه أن يثير الجدل والمراء !

ولعل فى مهزلة « توحيد الزى » التى تمثل اليوم على المسرح دليلا على ما قدمت . فأى معنى لأن يرتفع سعرها وتروج سوقها فى وقت لا حاجة لنا بها ، ونحن فى مستهل عهد جديد مشرق نريده جدا لا هزلا ، وحقا لا عبثا ، ونرجوه مقوضا أركان العهد البائد وماحيا آثاره ، ومحققا لآمال الشعب وأمانى الوطن ! أى معنى لأن يرتفع سعر المهزلة وتروج سوقها اليوم ، وهى لا تعود على البلد بذرة واحدة من الخير ؟ إنها لا تدفع جوعا عن بطون أعياها الجوع ، ولا تستر أجسادا أضناها العرى ، ولا تهدئ نفوسا أثقلها الفقر ، وأنهكها الشقاء ، وأفزعها الحرمان !

البلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الإنعاش الاقتصادى حتى تهدأ النفوس ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى كثير من نواحى الإصلاح حتى تستقر الأوضاع ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الخطوات العمرانية حتى تستقيم الأمور ، وشعب هذا البلد فى شدة الحاجة إلى بعثه من جديد ، وخلقه خلقا آخر حتى يكون جديرا ببلد يبغى الإصلاح فى شتى صوره ، ويبغى النهضة فى أكمل منازلها ، ويبغى الرفعة فى أسمى درجاتها ، وليس البلد فى حاجة إلى توحيد الزى ، ومعظم الشعب يجهد فى سبيل الحصول على رقعة تغطى سوءته ، وتستر عورته ، وتدفع عنه رزايا الشتاء !

كان الأجدر بهذه الشرذمة الداعية إلى توحيد الزى أن تتجه اتجاها يمس الإصلاح الحقيق فى صميمه . وما أكثر نواحى الإصلاح التى يحتاجها البلد اليوم ويحن إليها ويهيم بها ، حتى لا تضيع جهودها سدى ، وتضيع أوقاتها فى غير جدوى ، وتتبخر همتها فى سماء النقاش الممل ، والجدل المتعب . كان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح القرية حتى تليق بسكنى الآدميين ، أو نحو إصلاح الفلاح حتى يليق بالآدمية التى أكرمها الله تبارك وتعالى ، أو نحو إصلاح العامل حتى يثمر الثمرة المرجوة فى العهد الجديد ، وكان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح المجتمع فتهب له أوقاتها ، وتجود عليه بجهودها حتى ينهض فتنهض مصر بجانبه ، وحتى يسعد فيسعد الشعب فى ظلاله

لتذهب هذه الشرذمة إلى الريف لترى بأعينها من المآسى ما تشيب من أجلها النواصى ، ولتذهب إلى بلاد الصعيد لتقف بنفسها على الآلام التى تحطم الأعصاب وتهز القلوب ، لتذهب إلى القرى لترى كيف يعيش الفلاحون هناك فى حظائر تزاحمهم عليها مواشيهم ، وكيف يأكلون طعاما تزاحمهم عليه كلابهم ، وكيف يحيون بعد هذا حياة لا وزن لها إلا فى دنيا التعاسة والشقاء .. لتذهب هذه الشرذمة إلى أية جهة من هذه الجهات ، لتوقن بأن جهادها فى بدعتها هذه عبث ، وبأن أوقاتها فى سبيلها لهو ، وبأن حملتها لتحقيق هدفها ضرب من ضروب التسلية التى لا تليق بهذا الفجر الجديد

إن هذه المهزلة خلقت جوا من الجدل كنا فى غنى عنه ، فقد ولدت (القبعة) وجعلت منها مشكلة معضلة ، أثارت

مواكب التزمت والجمود الراكدة التي تعودت أن تتحرك في التوافه والسفاسف ، لتثبت وجودها وتؤكد بقاءها في مسرح الحياة . ولو أنها ثارت باسم عقليتها وأفكارها لما ألقينا لها بالا ولما حسبنا لثرثرتها وضوضائها حسابا ؛ لأن ثورتها مصيرها إلى التلاشي ، وثرثرتها وضوضاءها مصيرها إلى التبخر ، ولكنها تحرص على أن تثور باسم الإسلام ، وكأن الإسلام آمن من كل جانب فهي تخشى عليه القبعة ، وعزيز في كل ناحية فهي تخاف عليه انتشارها ، ولو فقهت مواكب الجمود هذه لناقشت المهزلة قبل أن تمرض بالإسلام وتزج به ، وتصوره للشرذمة الداعية إلى توحيد الزي كمنهج إصلاحي ، بصورة مشوهة تجعل منه عقبة في سبيل كل إصلاح . فإذا كان توحيد الزي وسيلة من وسائل الإصلاح فالإسلام يؤيده ويؤازره ويباركه ويدعوله، لأن الإسلام لم يحتم على الناس زيا خاصا ، ولا يتحكم في أزيائهم ؛ بل يتركها لتطورات الزمن واختلاف البيئات ، فقد كان الرسول صلوات الله عليه يلبس القميص والجبة والقباء والحلة والبردة وما إلى ذلك . وكان يلبس العمامة وتحتها القلنسوة ، والقلنسوة بغير عمامة ، والعمامة بغير قلنسوة ، ولبس العمامة الخضراء والبيضاء والسوداء ، ولبس الصوف والقطن والكتان ، وكان هديه في هذا أن يلبس الإنسان ما تيسر له . .

تثور مواكب الجمود على القبعة لأنها من أزياء الكفار . . ومن تشبه بقوم فهو منهم .. ولابد أنها لا تفقه أن رسول الله (ص) ارتدى « مستقة » —وهي نوع من الثياب— أهداها له ملك الروم ، وأنه (ص) ارتدى «القباطي» وهي نوع من الثياب أيضا كان يصنعه أقباط مصر . فانظر كيف تؤول حديثه الشريف تأويلا فاسدا ، وتفسره تفسيرا يتفق مع جمودها وجهلها وترمتها

والإسلام لا يعيب على المسلمين أن يتبعوا سنن من سبقهم إلى الإصلاح ، ولكنه يعيب عليهم أن يتقفوا إزاء الإصلاح موثوق الأكتاف ، أو يقفوا في طريقه عقبة كأداء . والإسلام مرة أخرى لا يتحكم في الأزياء ولا يزج بنفسه فيها ، لأن الأزياء مرتبطة بتطورات الزمن وأمزجة الشعوب ، وهو أيسر من أن يعوق تطور الزمن ، وأسمى من أن يحجر على أمزجة الشعوب

ويعد .. فنحن مضطرون إلى أن نهمس في آذان دعاة مهزلة توحيد الزي حتى يعلموا إلى أي واد هم مسوقون . وليدركوا أن العهد الذي كان يشجع إشغال الرأي العام بسفاف الأمور قد انقرض إلى غير رجعة ، وأن الوعي الجديد لن يسمح بعد اليوم بأن يستغل استغلالا سيئا يشينه ويشين البلد معه ، وخير لها أن تعلو بهمتها إلى ما يفيد الوطن والمجتمع ، من أن تبعثر جهودها لتتلاشى في مهب الريح ؛ ومضطرون أيضا إلى أن نهمس في آذان مواكب الجمود حتى تفيق من جمودها ، وتعلم أن الإسلام ليس سلعة رخيصة تلقى بها في كل سوق ، وليس مطية هينة تحترف فوقها الدجل والشعوذة ، وتصطنع الجدل والثرثرة ؛ لأن الإسلام أكرم على الله وعلى المسلمين من أن يكون شيئا من هذا أو ذاك

وخير للاسلام أن يرسم خطط الإصلاح ، ويضع أسس النهضة ، ويشرع نظم الاستقرار ، من أن يزج به في توافه الأمور وصغائرها !

محمد عبد الله السمان

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد